

شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة، وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار إذا استوفي الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة، وقيل: هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم، وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله ﷺ: من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه أفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان⁽¹⁾، ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام: إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب⁽²⁾، وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين، أو مصر على الزنا⁽³⁾ وما أعطى فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير⁽⁴⁾، ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽⁵⁾

ولمطابقة قوله ﴿فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ لقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾⁽⁶⁾ وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾⁽⁷⁾ وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان.

فإن قلت: ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة؟ قلت: قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفارة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا نجومًا.

فإن قلت:

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ما موقع هاتين الجملتين؟ قلت: هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسربهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ﴾⁽⁸⁾ كأنه قيل: أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصًا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة

الأخفش أنه حملة على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمراً وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده، وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم آمين الله، وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

فَأَمَّا صَحَّ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ نَسَوْنَ يَمْلِكُونَ ﴿٨٨﴾.

﴿فأصفح عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم يائسًا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم ﴿وقل﴾ لهم ﴿سلام﴾ أي تسلّم منكم ومشاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ وعيد من الله لهم وتسليية لرسوله ﷺ والضمير في وقيله لرسول الله ﷺ وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه: عن النبي ﷺ من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم، ولا أنتم تحزنون أدخلوا الجنة بغير حساب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان مكية

حَمَّ ① وَالْكَتَبِ ② آتَيْنِ ③

الواو في ﴿والكتاب﴾ واو القسم إن جعلت حم تعديداً للحروف أو اسماً للسورة مرفوعاً على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسماً بها.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ④ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ⑤ فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ⑥

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ جواب القسم، والكتاب المبين القرآن، والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من

(1) قال الزيلعي: رواه سليم بن أيوب الرازي في كتاب: الترغيب،

ورواه محمد بن ناصر السلمي في كتاب: فضائل شعبان، وفي الفردوس، الزيلعي: 261/3.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: الصوم، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، (الحديث: 739)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الإقامة، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، (الحديث: 1389).

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب: الحظر والإباحة، باب: ما جاء في=

= التباغض والتحاسد، (الحديث: 5665).

(4) قال الزيلعي غريب: 266/3.

(5) سورة القدر، الآية: 1.

(6) سورة القدر، الآية: 4.

(7) سورة البقرة، الآية: 185.

(8) سورة الدخان، الآية: 3.

مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيداناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين، وفي قراءة زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص، وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٨﴾.

وقرئ: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبَائِكُمْ﴾ بالجر بدلاً من ربك.

فإن قُلْتُمْ: ما معنى الشرط الذي هو قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾؟ قُلْتُمْ: كانوا يقولون بأن للسماوات والأرض رباً وخالفاً فقليل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول: إن هذا إنعام زيد الذي تسمع الناس بكرمه واشتهروا سخاؤه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته، ثم ردوا أن يكونوا موقنين.

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾.

بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جدٍ وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب.

فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا مُّبِينًا ﴿١٠﴾.

﴿يوم تأتي السماء﴾ مفعول به مرتقب يقال يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته، واختلف في الدخان، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيد ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص، وعن رسول الله ﷺ أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلا المحشر قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله ﷺ الآية⁽²⁾، وقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً ولبيلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره وأذنيه ودمره، وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة والزام⁽³⁾، ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصاً عند أبواب كندة يقول: إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق

مفرق كل أمر حكيم، والمباركة الكثيرة الخير لما يتبيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم وديارهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة، ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وأجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة، وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسوف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت، وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ تفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل، وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه تفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز.

أَمْ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾.

﴿أمرًا من عندنا﴾ نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً فخما بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة لأن قال أعني بهذا الأمر أمرًا حاصلًا من عندنا كائنًا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتبديرنا، ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم إما أن يوضع موضع فرقتنا الذي هو مصدر يفرق؛ لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث أنه إذا حكم بالشيء وكتبه، فقد أمر به وأوحى أو يكون حالاً من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه أمرين أمرًا، أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرًا من عندنا بما يجب أن يفعل.

فإن قُلْتُمْ: ﴿إنا كنا مرسلين﴾ ﴿رحمة من ربك﴾ بم يتعلق قُلْتُمْ: يجوز أن يكون بدلاً من قوله: ﴿إنا كنا مرسلين﴾ و﴿رحمة من ربك﴾ مفعولاً له على معنى: إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، وأن يكون تعبيراً ليفرق أو لقوله: ﴿أمرًا من عندنا﴾ ورحمة مفعولاً به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها في قوله تعالى: ﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾⁽¹⁾ أي: يفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا، وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة، وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعل لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا

(3) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، ومن سورة حم الدخان، باب:

﴿يوم تبطش البطشة الكبرى...﴾ (الحديث: 4825).

(2) رواه الطبري في تفسيره، الزيلعي: 3/266.

(1) سورة فاطر، الآية: 2.

يَوْمَ تَبْيَضُّ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٧﴾.

ثم قال: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يريد يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ (2) ﴿إننا منتقمون﴾ أي ننتقم منهم في ذلك اليوم.

فإن قلت: بم انتصب يوم نبطش قلت: بما دل عليه إننا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح أن ينتصب بمننتقمون، لأن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم، وقيل البطشة الكبرى يوم بدر.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

وقرئ: ﴿ولقد فتنا﴾ بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم، ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سبباً في ارتكابهم المعاصي، واقترافهم الأثام أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم ﴿كريم﴾ على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبياً إلا من سراة قومه وكرامهم.

﴿أَن أَدْرَأَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَرُّ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿إن أنوا إلي﴾ هي أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول: لا يجيئهم إلا مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله أو المخففة من الثقيلة، ومعناه: وجاءهم بأن الشأن والحديث أتوا إلى ﴿وعباد الله﴾ مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أتوهم إلى وأرسلوهم معي كقوله تعالى: ﴿أرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم﴾ (3) ويجوز أن يكون نداء لهم على أنوا إلي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بأنه ﴿رسول أمين﴾ غير ظنين قد اتتمته الله على وحيه ورسالته.

﴿وَأَن لَّا تَلَّوْا عَلَىٰ اللَّهِ إِنِّي مَائِكُمْ بِطَلْقَنُ مُبِينٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿وأن لا تلعوا﴾ أن هذه مثل الأولى في وجهيها أي: لا تستكبروا ﴿على الله﴾ بالاستهانة برسوله ووحيه، أو لا تستكبروا على نبي الله ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة.

﴿وَأَنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أن ترجمون﴾ أن تقتلون، وقرئ: ﴿عدت﴾ بالإدغام ومعناه أنه عاثر بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن

فقال: من علم علماً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم؛ فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال: إلا، وسأحدثكم أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف (1)، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشده الله والرحم واعوه إن دعا لهم، وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم ﴿بيخان مبين﴾ ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه لخبان.

يَسْتَفِي النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾.

﴿يستفي الناس﴾ يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للخبان و﴿هذا عذاب﴾ إلى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك.

﴿رَبَّنَا كَيْفَ عَنَّا الْمَذَابُ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إننا مؤمنون﴾ موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب.

﴿أَن لَّمْ أَلْزَمُوا قَدَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿لاني لهم النكري﴾ كيف ينكرون، ويتعظون ويفون بما وعده من الإيمان عند كشف العذاب ﴿وقد جاءهم﴾ ما هو أعظم وأنحل في وجوب الإنكار من كشف اللخبان وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات، فلم ينكروا.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مَرْءٌ مِّثْلُكُمْ ﴿٢٤﴾﴾

وتولوا عنه وبهتوه بأن عداساً غلاماً أعجمياً لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

ثم قال: ﴿إننا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ أي: ريثما تكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غيب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهاال.

فإن قلت: كيف يستقيم على قول من جعل اللخبان قبل السماء باللخبان تصور المعذبون به من الكفار، والمنافقين وغوثوا وقالوا: ﴿ربنا كشف عنا العذاب إننا مؤمنون﴾ منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوماً، فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون.

= وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: القنوت في الصلاة (الحديث: 1442).

(2) سورة النازعات، الآية: 34.

= (3) سورة طه، الآية: 47.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: يهوي بالتكبير حين يسجد (الحديث: 804). وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: استحباب

القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة والعياذ بالله

(الحديث: 675/295).

﴿كُنُك﴾ الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها ﴿وَأورثناها﴾ أو في موضع الرفع على الأمر كنك ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا بين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم.

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١٣﴾.

إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله ﷺ ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير: تبكي عليك نجوم الليل والقمر، وقالت الخارجية:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف
ونلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب
الجزع والبكاء عليه، وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الأرض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل، ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقهه فيقال فيه: بكت عليه السماء والأرض، وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني: فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر، ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا.

وَلَقَدْ جِئْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُتْرَفِينَ ﴿١٥﴾.

﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم، ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون، وقرئ من عذاب المهين، ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون، وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيظنته؟ ثم عرف حاله في ذلك بقوله:

﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي كبيراً رفيع الطبقة ومن بينهم فائقاً لهم بليغاً في إسرافه، أو علياً متكبراً كقوله تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، ومن المسرفين خير ثان كأنه قيل إنه كان متكبراً مسرفاً الضمير.

وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ عَلَىٰ عَصِيٍّ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾.

في ﴿أخْرَجْنَاهُمْ﴾ لبني إسرائيل و ﴿على علم﴾ في موضع الحال أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا، ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم يزيغون

كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل.

وَإِنْ أَرَادُوا لِيُفْتَنُوا لِيُفْتَنُوا لِيُفْتَنُوا ﴿١٧﴾.

﴿فما عتزلون﴾ يريد إن لم تؤمنوا لي فلا مولاة بيني وبين من لا يؤمنوا ففتنحو عني واقطعوا أسباب الوصلة عني أي: فخلوني كفافاً لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم وإذاكم فليس جزء من دعاكم إلى ما فيه فلا حكم ذلك.

فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوَّلَاءَ قَوْمٌ يُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾.

﴿أَنْ هَوَّلَاءَ﴾ بأن هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل: كان دعأؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾، وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ: إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أي فدعا ربه فقال إن هؤلاء.

فَأَسْرَىٰ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿١٩﴾.

﴿فأسر﴾ قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء، فقال: أسر بعبادي وأن يكون جواب شرط محنوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر ﴿بعبادي﴾ يعني: فأسر ببني إسرائيل، فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين، الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى:

يمشير رهواً فلا الأعجاز خانلة ولا الصور على الأعجاز تنكل
أي مشياً ساكناً على هيئة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينبطق كما ضربه، فانطلق فأمر بأن يتركه ساكناً على هيئة قاراً على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه، ولا يغير منه شيئاً ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثاني أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملاً فالتجأ، فقال: سبحان الله وهو بين سنامين أي أتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً.

وَأَنزَلِ الْبَحْرَ رَمَافًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٠﴾.

﴿إنهم جند مغرقون﴾، وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم.

وَرُزِقَ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٢١﴾.

والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر.

وَتَسَوَّىٰ كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿٢٢﴾.

والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الإنعام، وقرئ فاكهين وفكهين.

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٣﴾.

ويفرط منهم الفرط في بعض الأحوال ﴿على العالمين﴾ على عالمي زمانهم، وقيل على الناس جميعاً لكثرة الأنبياء منهم.

وَمَا كُنْتُمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بَلَّغُوا بَلَدًا ﴿٢٣﴾.

﴿من الآيات﴾ من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلي وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ﴿بلاد مبين﴾ نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة، أو اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (١).

إِنَّ هَذِهِ لَبَلَاءٌ لِّقَوْلِكَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُشْرِكِينَ ﴿٢٥﴾.

﴿هؤلاء﴾ إشارة إلى كفار قريش. فإن قلت: كان الكلام واقعاً في الحياة الثانية لا في الموت (٢) فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمشركين كما قيل: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ وما معنى قوله:

﴿إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ وما معنى نكر الأولى كانهم وعدوا مودة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى؛ قلت: معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم: أنكم تموتون مودة تعقبها حياة كما تقمتمكم مودة قد تعقبها حياة وذلك قوله عز وجل: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتمكم ثم يحييكم﴾ (٣) فقالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى يريون ما المودة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا المودة الأولى دون المودة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها المودة من تعقب الحياة لها إلا للمودة الأولى خاصة فلا فرق إذاً بين هذا وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا في المعنى، يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم.

فَأَنزَلْنَا بِطَابِئًا إِنَّ كَثِيرًا مِّنْكُمْ هُنَّ ﴿٢٦﴾ أَمْ حَرِيءٌ أَنْ تُنْفِخَ وَأَنْذِرِينَ ﴿٢٧﴾.

﴿فاتوا بأبائنا﴾ خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله ﷺ والمؤمنين أي: إن صدقتم فيما تقولون فعملوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك

حتى يكون نبيلاً على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق، وقيل: كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليسأوروه؛ فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعظم الشؤون، هو تبع الحميري كان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك نَمَّ الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل: هنما وكان إذا كتب قال: بسم الله الذي ملك برأ وبحراً، وعن النبي ﷺ لا تسبوا تبعاً، فإنه كان قد أسلم (٤) وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبي (٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان نبياً وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير قال: هذا قبر رضوي وقبر حبي بنت تبع لا تشركان بالله شيئاً وقيل: هو الذي كسا البيت وقيل لمولك اليمن التبايعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقبال لأنهم يتقبلون، وسمى الظل تبعاً لأنه يتبع الشمس.

فإن قلت: ما معنى قوله تعالى:

﴿أهم خير﴾ ولا خير في الفريقين قلت: معناه أهم خير في القوة والتمتع كقوله تعالى: ﴿اكفاركم خير من أولئكم﴾ (٦) بعد نكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾.

﴿وما بينهما﴾ وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهما.

إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامِ يَمْتَنِعُكَ أَجْرِيكَ ﴿٣٠﴾.

وقرأ: ﴿ميقاتهم﴾ بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي: إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل.

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿٣١﴾.

﴿لا يغني مولى﴾ أي مولى كان من قرابة أو غيرها ﴿عن مولى﴾ عن أي مولى كان ﴿شيئاً﴾ من إغناء أي قليلاً منه ﴿ولا هم ينصرون﴾ الضمير للموالي لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياخ كل مولى.

(1) سورة البقرة، الآية: 49.

(2) قال أحمد: وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين، الأولى: منها الموت، والأخرى: حياة البعث، أثبتوا الحالة الأولى وهي: الموت، ونفوا ما بعدها وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شيء بعدها؛ لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات، فعملوا أولى على ما نكرت لهم، وهذا أولى من حمل المودة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين أحدهما: إن الاقتصر عليها لا يعتقدونه؛ لأنهم يشنون الموت الذي يعقب حياة الدنيا، وحمل الحصر المباشر للموت في كلامهم على صفة تنكر لا على نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة، الثاني: إن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالمودة، =

= فإن المودة فعلة فيها إشعار بالتجدد والطران، والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تنتقمه حياة طرا عليها هذا، مع أن في بقية السورة قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا المودة الأولى﴾ وإنما عنى بالمودة الأولى هنا الموت المتعقب للحياة الدنيا فقط، ففيه إرشاد لما ذكرته والله أعلم.

(3) سورة البقرة، الآية: 28.

(4) أخرجه أحمد في المسند 5/340.

(5) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في التخيير، بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (الحديث رقم: 4674).

(6) سورة القمر، الآية: 43.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾.

ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابٍ الْحَمِيمِ ﴿١٣﴾.

فإن قلت: هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى: يصب من فوق رؤوسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه! قلت: إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشنته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله: صببت عليه صروف الدهر من صيب. وكقوله تعالى: ﴿أفرغ علينا صبراً﴾^(١) فذكر العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له ليكون أهول وأهيب.

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٤﴾.

يقال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ على سبيل الهزؤ والتهمك بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبلية أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، وقرئ: إنك بمعنى لأنك، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأ به على المنبر.

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تُمَرُّونَ ﴿١٥﴾.

﴿إن هذا﴾ العذاب أو إن هذا الأمر هو ﴿ما كنتم به تمرون﴾ أي تشكون، أو تتمارون وتتلجون.

إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي مَقَامٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُوبٍ ﴿١٧﴾.

قرئ: ﴿في مقام﴾ بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملاً في معنى العموم، وبالضم وهو موضع الإقامة أو الأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة؛ لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقي فيه من المكراه قيل السنس مارق من الديباج والاستبراق ما غلظ منه، وهو تعريب استبر.

فإن قلت: كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟ قلت: إذا عرب خرج من أن يكون عجمياً لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب.

يَلْسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلَّبِينَ ﴿١٨﴾ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٩﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فِتْنَةٍ عَابِينَ ﴿٢٠﴾.

﴿كنك﴾ الكاف مرفوعة على الأمر كنك أو منصوب على مثل ذلك أثناهم ﴿وزوجناهم﴾، وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة والمعنى بالبحور من العين لأن العين إما أن تكون حوراً أو غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلاً وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تلوها حمرة.

﴿إلا من رحم الله﴾ في محل الرفع على البذل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء ﴿إنه هو العزيز﴾ لا ينصر منه من عصاه ﴿الرحيم﴾ لمن أطاعه.

إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٢١﴾ طَعَامُ الْآثِيمِ ﴿٢٢﴾.

قرئ: ﴿إن شجرت الزقوم﴾ بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرهما وشيرة بالياء، وروي أنه لما نزل نلك خير نزل أم شجرة الزقوم قال ابن الزبيري: إن أهل اليمن يدعون أكل الزيد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزيد فقال: تزقموا فإن هذا هو الذي يخونكم به محمد فنزل: ﴿إن شجرت الزقوم طعام الآثيم﴾ وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلاً، فكان يقول طعام اليتيم^(١) فقال: قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفساحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن نك منه عن تحقق وتبصر، وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية.

كَأَنَّهُمْ يَبْلُغُونَ ﴿٢٣﴾.

﴿تالمهل﴾ قرئ: بضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾^(٢) مع قوله فكانت وردة كالدمان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس.

كَفَى الْاَحْمِيْرِ ﴿٢٤﴾.

والكاف رفع خبر بعد خبر وكنك ﴿تغلى﴾ وقرئ: بالتاء للشجرة وبالياء للطعام و﴿الحميم﴾ الماء الحار الذي انتهى غليانه.

حُدْرُهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَّا سَوْءَ الْحَجِيْمِ ﴿٢٥﴾.

يقال للزبانية: ﴿حُدْوُهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾ فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يأخذ بتلابيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجاني، وقرئ: بكسر التاء وضمها ﴿إلى سواء الحجيم﴾ إلى وسطها ومعظمها.

(2) سورة المعارج، الآية: 8.

(3) سورة البقرة، الآية: 250.

(1) قال أحمد: لا دليل فيه لذلك، وقول أبي الدرداء محمول على إيضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عوناً، على أن يأتي بالقراءة كما أنزلت على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار، وهو الوجه والله أعلم.

تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ﴿ومن الله﴾ صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ، والظرف خبراً.

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمَنْ يَعْقِلُ ﴿٦٧﴾.

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ.

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابِّهِمْ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٨﴾.

لقوله: ﴿وفي خلقكم﴾.

فإن قلت: علام عطف ﴿وما يبيث﴾ أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه قلت: بل على المضاف لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو وكذلك إن أكلوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد، وقرئ: آيات لقوم يؤمنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا في الدار وعمراً في السوق أو وعمرو في السوق.

فإن قلت: العطف على عاملين على مذهب الأخفش شديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه، فما وجه تخريج الآية عنده قلت: فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفاً على ما قبله على التكرير ورفعها بإضمار هي.

وَالنَّجْمَاتِ الَّتِي وَالنَّهَارِ وَمَا أُزِلَّ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ زَيْدٍ فَأَخْبَاهُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ زَهْرٍ وَصَرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾.

وأما قوله: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الإبتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف، وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار وقرئ: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالرفع، وقرئ: آية وكذلك وما يبيث من دابة آية، وقرئ: وتصريف الريح والمعنى: إِنَّ الْمُنْصَفِينَ مِنَ الْعِبَادِ إِذَا نَظَرُوا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ النَّظَرَ الصَّحِيحَ عِلِمُوا أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ وَأَنَّهُ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ صَانِعٍ فَأَمَنُوا بِاللَّهِ، وَأَقْرَبُوا فَإِذَا نَظَرُوا فِي خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَتَنَقَّلُوا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَهَيْئَةً إِلَى هَيْئَةٍ وَفِي خَلْقِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ صَنُوفٍ

لَا يَذُرُّونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأَوَّلَ وَوَكَّنَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧٠﴾.

وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت.

فإن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى المنوطة قبل دخول الجنة من الموت المنفي نوقه فيها^(١)؟ قلت: أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله: ﴿إلا الموتة الأولى﴾ موضع ذلك لأن الموتة العاضية محال نوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم نوقها في المستقبل، فإنهم يذوقونها وقرئ: ووقاهم بالتشديد.

فَصَلِّ لِنَا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧١﴾.

﴿فضلاً من ربك﴾ عطاء من ربك وثواباً يعني: كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار، وقرئ: فضل أي ذلك فضل.

إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ بِلِيسَانِكَ لَهُمُ بُدْءُكُمْ ﴿٧٢﴾.

﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ فنلك للسورة ومعناها نكروهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربياً بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا. فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ مُزَيَّنُونَ ﴿٧٣﴾.

﴿فارتقب﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿أنهم مرتقبون﴾ ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك^(٢)، وعنه عليه السلام من قرأ حم التي ينكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفوراً له^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجاثية مكية

حم ﴿٧٤﴾.

﴿حم﴾ إن جعلتها اسماً مبتدأ مخبراً عنه.

نَزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْمُنِيرِ ﴿٧٥﴾.

بـ ﴿تنزيل الكتاب﴾ لم يكن بدّ من حذف مضاف

= الغيب إلا الله، أي: إن كان الله ممن في السموات والأرض ففي السموات والأرض من يعلم الغيب، فإذا نغر السامع من ثبوت الأول تعدت النغرة إلى ثبوت الثاني، فجزمت بالنفي، والله أعلم.

(2) أخرجه الترمذي في المصدر السابق، (الحديث رقم: 2888).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل حم الدخان، (الحديث رقم: 2889).

(1) قال أحمد: هذا الذي نكره مبني على أن الموتة بدل على طريقة بني تميم المجوز فيها البديل من غير الجنس، وأما على طريقة الحجازيين فانصبت الموتة استثناء منقطعاً، وسر اللغة التميمية بناء النفي المراد على وجه لا يبقى للسامع مطمعاً في الإثبات، فيقولون: ما فيها أحداً لا حمار، على معنى إن كان الحمار من الأحدين ففيها أحد، فيعلقون الثبوت على أمر محال حتماً بالنفي، وعليه حمل الزمخشري قل لا يعلم من في السموات والأرض =